فقرة جديدة ـ حب ...

للكاتب الأمريكي كارول هارنج
بقلم الأديب أبو بكر علي

« فقرة جـديدة » قال ذلك ستان ونيتروب . وفكرت باربارا بل ، وهى جالسة إلى جانبه وكتاب الاختزال على ركبتها ، كم هو لا ينثنى عن الإكثار من الفقرات ! إنه يحب أن يملى « فقرة جديدة » كل بضعة جمل ، ولـكنها لم تلق بالها . . . لم تكن تلق بالها لأى شىء يفعله فى الحقيقة ، لأنها كانت واقعة فى حبائل غرامه منذ شهر . حالة عقلية مثيرة تطرد منـذ اليوم الذى جعله فيه عمه وكيلاً للرئيس للعناية بتقـدم حالة البيع ، ومنحه باربارا «سكرتيرة» ومعينة، قائلاً : « ستان ! إنى أترك لك باربارا كمنحة خاصة ، فهى ستعينك على تخطى النقط الوعرة » . وحتى فى ذلك اليوم نظر إليها بطريقة جعلت قلبها يخفق . وقال : « آمل ألا نجد — أنت وأنا — أى نقط وعرة » .

وكلما مضى العمل ، كانت « نقطه الوعرة » قليلة قلة مدهشة ، لأن ستان كان — بكبرياء بسيطة أعجبتها — يعمل بجد واجتهاد أكثر مما لو لم يكن عمه رئيساً . كان يشعر شعوراً قوياً أن الناس قد يظنون أنه إنما يدين بمنصبه إلى تلك القرابة

سأل ستان فجأة : هل قلت « فقرة جديدة » ؟

— أجل !

وبدلاً من الاستمرار ، أخذ ستان ونيتروب ينظر إلى رأس باربارا الأسـود ، ووجهها البيضى الجميل المحبوب، وثغرها الجميل ، وقد ضغطت شفتها السفلى بلطف ، ناظرة خارج النافذة ، سابحة فى أفكارها . ثم أكمل قائلاً : « أود أن أختم هذه الرسالة الخاصة بتحيتكم جميعاً أيها العملاء ، أود أن أختمها بفكرة أنكم أكثر من عملاء . . . أنتم سفراء ! »

ثم توقف ثانياً . وتركت باربارا أفكارها تعود إلى الماضى القريب إذ تناولا الغداء معاً هذا اليوم ، وإلى العشاء الذى تناولاه معاً منذ أسبوع ، ثم تتجه إلى مساء سعيد مقبل ، والآن فى هذا الوقت القريب سيحتويها ستان بين ذراعيه ويغمرها بالقبلات . إن العقل لشىء عجيب ! ها هى ذى تستطيع أن تجلس فى مكتب فى نيويورك ومع ذلك يقبلها ستان بجانب غدير فى غابة ، حيث يغسل ضوء القمر كل قبيح فى الدنيا فيكسبه جمالاً !

سأل ستان فجأة : « أين كنا ؟ »

— فى « أركادى » .

هذا ما كانت تجيب به ، ولـكنها ملكت زمام نفسها . فقالت : « إنكم أكثر من عملاء . . . أنتم سفراء »

ورفعت بصرها ، فرأت ستان يسرع بإلقاء نظره بعيداً . فوجب قلبها فجأة : فيم كان يفكر أثناء دراسة وجهها القصيرة هذه ؟

نهض بسرعة ودلف نحو النافذة كأنه يكافح أفكاره . ولاحظت هى كيف تلائم سترته منكبيه العريضين ؛ ونفذ إلى قلبها شعور غريب . وقف متأملاً ومفكراً ، ووجهه النحيف الجميل فى وضع جانبى . أكان يفكر فيها ؟ لقد بدا الجو وكأن شيئاً كهربائياً يحلق بينهما ، وانتظرت باربارا معدومة الأنفاس ... وفجأة استدار وتكلم « حب ... » وأسقطت باربارا القلم

فأتى إلى جانبها والتقطه مدهوشاً وقال : « ما الخبر ؟ »

فاحمر وجهها خفراً وقالت : « أنا ... أنا ظننتك ستقول شيئاً »

فطمأنها قائلاً : « سأقول » ورد إليها القلم . ثم أكمل : « حب الأدب بداية التعليم » . ورسب قلب باربارا إلى قرارها ، فلم يكن هذا سوى إعادة الإملاء : « هذا مبدأ كتب ويتروب الجامعة ، ورسالة لكم أيها العملاء ، لتحملوها إلى كل مدرس فى أمريكا » . وتلألأت ابتسامة على ثغر ستان ، وقال : « هذا كل ما هنالك . ما رأيك فى ذلك ؟ ها قد قلت شيئاً . ألم أقل ؟ »

ودت لو أجابت : « ولكنه مالم أكن آمل أن تقول . كنت آمل أن تقول : فقرة جديدة يا باربارا أحبك ، أحبك »

لقد كان عقلها شيئاً عجيباً حقا ، فقد استطاع أن يتصور المنظر الخيالى : ذراعاه حولها تضمانها إليه وهو يقول : « ضحى القلم ! إنما شركة ويتروب نتيجة عرضية بجانب هذا الحب العظيم » . أوه ... نعم ، إنها تقدر أن تكتب هذه الكلمات الصامتة فى عقلها وهى تجلس ها هنا إلى جانبه « سكرتيرة » هادئة لا تبدى حراكا . وفجأة أخرجها صوته من تخيلاتها قائلاً : « لقد قلت ، لقد قلت شيئاً ، ألم أقل ؟ أم أنت لا تحبين ما قلت ؟ »

فأجابت وهى تقف : « أوه ، نعم ، إنه سيكون فوق العظمة فى الاجتماع . »

فقال متلهفاً : « أو تظنين ذلك ؟ »

فوقفت بالباب قائلة : « بالتأكيد ، إنهم سيلتهمونه . »

— باربارا ، إنك لعون كبير

انتهى وقت العمل ، ولذا ذهبت باربارا إلى غرفتها الوحيدة وحمامها ومنظر هروب النار ، مفكرة كيف بدأ الأسبوع مفعماً بالأمل ، وودت أن تستمر آماله اللألاءة بلا انقطاع . ولكن كان من خيبة رجائها أن تستيقظ فى الصباح التالى وهى تشعر بوصب ، فلجأت إلى مقياس حرارتها الخاص ، واكتشفت أن حرارتها عالية . فنزلت إلى التلفون فى البهو الأسفل وأخطرت المكتب أنها لن تذهب هذا اليوم لم تكن تحب أن تمرض ... لم تكن تحب فى هذا اليوم والربيع قادم بكل ما تريد أن تعمله مع ستان

وفى ثانى صباح شعرت بعودة التحسن ، بعد أن قضت يوماً فى الفراش ، وعادت إلى العمل

قال ستان : « لم أجدك أمس »

فأجابت باربارا : « لم أدر ما حدث . لقد حسبت أنى أصبت بحمى فلزمت البيت ، ولكنى أشعر اليوم بتحسن . »

فضحك ستان وهو يشعر بسرور قائلاً :

« ومنذا الذى لا يشعر بتحسن ؟ إننا فى الربيع ! » ثم قال : « فلننجز بعض الأعمال الآن ، ثم يمكننى أن أخلو ساعتين للغداء ، وأمشى

فى حديقة « سنترال » إلى حديقة الحيوان ، وأصغى إلى نباح كلاب البحر . وستذهبين معى . »

وهذا ما فعلاه تماماً ، فى شمس إبريل الساطعة، وخفقان الجو الدائم اللطيف . لم يحبا أن يعودا للعمل، ولكن ستان قرر أن الأفضل أن يجتمعا ثانية للعشاء، ويقضيا المساء معاً .

واجتمعا ... ولقد فعلا مثل هذا سابقاً ، ولكن ليس فى مثل هذا الحال ، حتى أن صوتهما كان حاراً رقيقاً بغير كلفة . وأثناء عودتهما بالسيارة ، أصبحت ـ فجأة ـ اللحظة التى أملتها طويلاً حقيقة ملموسة ، وذلك حينما انحنت باربارا إلى الأمام لتنظر إلى حانوت ، وتحرك ستان ليقبلها ! ونتيجة لحركتهما أطاح ستان قبعتها وأسندت رأسها إلى كتفه قائلة : « أخبرنى عمك أنى هنا لأعينك على النقط الوعرة »

وتلاشت بسماتها فى القبل التى غمرها بها ، ووقفت السيارة ساكنة تنتظر تغيير الأضواء ، وبدت الدنيا كلها كأنها تقف ساكنة حينما أحست أن ستان يضمها بقوة ، وشفتاه تهصران شفتيها فى قبلة عنيفة تذوب رقة كلما مرت الثوانى وغمر حواسها تأثير النشوة

ثم غمغم ستان : « باربارا الحبيبة ! »

لم تقل شيئاً تاركة السعادة تموج فوقها موجة إثر موجة .

وعند بابها ذهبت سعادتها وهو يقول: «سينقضى أسبوع قبل أن أراك مرة ثانية . »

فصاحت مدهوشة : « أسبوع ؟ »

— أجل! لقد كنت أبغض أن أخبرك ، ولكن عمى أنبأنى أنه يتوقع أن أمكث فى شيكاغو حتى ينفض الاجتماع .

وإلى ما بعد ذهابه بيومين كانت ذكرى رقته تعاودها لتطير بها كلما دخلت مكتبه الخالى أو خرجت منه ، وأحياناً تقف رانية — فى غمرة من الشعور الحار — إلى قصاصات من ورق النشاف تركها مكتوبة كمذكرات . وكانت واقفة تفكر بجانب قمطره فى أصيل اليوم التالى حينما فتح الباب ونظرت مذهولة

لقد كان ستان ـ بقبعته وسترته ، حاملاً حقيبة سفره . ولكن الاجتماع لم ينفض بعد !

وقف أمامها ، وصدمتها النظرة التعيسة المرتسمة على وجهه . وشعرت بانقباض مفاجىء فى قلبها . هل عاد بسببها ؟

قالت بضعف : « ما ـ ما الخبر ؟ لِمَ لَمْ تمكث حتى ينفض الاجتماع ؟ »

فرمقها بهدوء .

ثم قال بقوة مثيرة ، وهو يطوح بحقيبته وقبعته فوق أحد المقاعد :

— لأنهم أخرجونى من المدينة بسخريتهم

فاكتشفت أنه غاضب ، وهى تقف مندهشة أولاً ثم مروعة .

وأردف ستان :

— كان هذا شيئاً جميلاً سببته لى بذلك الكتاب

فسألت مرتبكة :

— أى كتاب ؟

— أنت تعلمين أى كتاب أعنى . تلك الرسالة رسالة التحية للبائعين . كنت أظن دائماً أنك تحبين العمل معى ، وفى هذا ما يهم كلينا ، ونحن فى هذا المكتب ، ولم أكن أحلم قط أنك تلعبين معى حيلة كهذه

فصاحت يائسة :

— ستان ! لا أعرف عما تتكلم ، أى كتاب ؟

ووقفت إلى مقعدها قابضة بقوة على جزئه الخافى

مرتبكة مجروحة الشعور ، بينما أخذ يقص عليها بما حدث فى شيكاغو :

— جلستُ فى غرفة الاجتماع الغاصة بعملاء وينتروب مصغياً إلى رسالتى يتلوها رئيس الاجتماع وكانت تلك الرسالة التى أمليتها عليك أحد الأصائل عن حب الأدب ، وأنت تعلمين جيداً أى رسالة أعنى ، وأحسبك أفدت منها سروراً عظيما

علق على ذلك بمرارة واستمر بغضب زائد :

ستسرين إذ تعلمين أنك نجحت فى جعلك منى مجنوناً كاملاً إذا كان هذا هو قصدك . كنت جالساً هناك مصغياً إلى رئيس الاجتماع وهو يقرأ كتابى بصوت مرتفع حينما قهقه كل شخص ضاحكا .

وهنا اختطف الورقة من جيبه وقرأ لباربارا :

ورسالة لكم أيها العملاء لتأخذوها لكل مدرس فى أمريكا . قل لها فقرة جديدة ، أيتها الحبيبة ، أحبك ، فقرة جديدة ، ضمى القلم ودعينى أحتويك بين ذراعى . أحبك ... أحبك يا باربارا . إنما شركة وينتروب نتيجة عرضية بجانب هذا الحب العظيم .

ألقى ستان الورقة فوق مكتبه ثم استدار ووقف ينظر نظرة هائلة خارج النافذة

وسقطت باربارا إعياء فوق مقعد بجوار مكتبه وعقلها يكافح ويناضل ليفهم كيف حدث هذا . وأدركت مروعة أن هذه كانت كلماتها . الكلمات التى كتبتها ذلك الأصيل حينما كان يملى عليها الرسالة والتى لم تكن تقصد أو تتوقع أن ترى

— أنا . . . أنا كتبت هذه الكلمات فى « ورقة النشاف » ساهية

فاستدار غاضباً قائلا : « ساهية ! »

— أجل ! كانت بعض أفكار عديمة الفائدة خاصة بى . ولكنى لم أنسخ هذه الرسالة ، لا بد من أن تكون نسختها إحدى الفتيات من مذكراتى الخاصة عند ما كنت متغيبة

فوضح مؤكداً : « لقد نسختها لأنك لم تكونى بالمكتب فى ذلك اليوم ، إذ كنت مريضة حينما أعدت نسخها . كانت فتاة جديدة ، ولم تكن تتقن شيئاً » . وأضاف عابساً : « أحسبها ظنت هذا أسلوبنا فى الأدب »

فقالت باربارا مدافعة : « ولكنى أتيت فى اليوم التالى وكان الكتاب فوق مكتبك — ولقد شاهدته — فى انتظار موافقتك عليه »

فسار نحو النافذة فجأة وقال : « لقد أرسلته ولم أطلع عليه ثقة بك ، كذلك كنت فى عجلة من أمرى » . ثم نظر من فوق كتفه هازئاً وقال : « وكان هذا يوم أن تنزهنا فى حديقة سنترال »

فقالت باربارا فى ارتباك : « أذكر أنك كنت تريد أن تسمع كلاب البحر تنبح » . فقال بمرارة وهو يفكر فى اجتماع شيكاغو : « نعم ، ولقد نبحوا »

نهضت باربارا واتجهت صوب الباب ، مدركة بكل ألم النظرة المرتسمة على وجهه . وقالت وقد خذلتها شجاعتها : « بـ ... بالطبع أظن من الجلىّ تماماً أنى أعد مفصولة من هنا بعد هذا »

فقال موافقاً : « هذا ما يجب » وحملق خارج النافذة عابساً

وفى المكتب الخارجى أخرجت كل أشيائها الشخصية من قمطرها ، ثم أغلقته وقد شملها شمور الوداع لمسكن قديم . وبعد ربع ساعة كانت تركب « مصمداً » يهبط بها إلى الطريق ، وقلبها ينخلع كلما مرت بطابق ، وغشيت عينيها سحابة من الدموع حينما خطت فى شارع ماديسون . كانت تدرك وهى تسير مرتبكة أنها خلفت وراءها عملها ومستقبلها وسعادتها

أوت إلى منزلها وقضت باقى اليوم فى غرفتها

الصغيرة بخوف . ثم خرجت يومين تبحث عن عمل جديد فى الصباح ، ولكن بقلة اكتراث ، حتى أنها كانت تستسلم سريعاً وتمضى تدور فى الطرقات بتبلد وخمول ، كسيرة النفس ، محلقة فى نوافذ الحوانيت ، غير مبصرة ما تنظر إليه

وقفلت إلى منزلها مرة فى الظهر ، ولم تكد تغلق خلفها الباب حتى وجدت شخصاً آخر فى الدهليز فنظرت مدهوشة ، فقد رأت ستان !

كان يبسم لها — يبسم حقيقة — بسمة عريضة ووجب قلبها وجيباً سريعاً وطفق يقول : « باربارا ، أطلب الصفح . إنى آسف على أنى هجت هكذا فى المكتب . لقد كانت إحدى تلك النقط الوعرة وكان المفروض أن تعينينى على اجتيازها، ولكنك تركتنى »

فقالت بثبات : « أتراهن على أنى أنا التى تركتك ؟ » ولكنها شعرت بخوف شديد من الضعف الذي استولى عليها

قال : « كنت أحمق إذ أخذت هذا الكتاب جدياً هكذا . وإخالنى أدرك كيف حدث . بجانب هذا ، يظهر أن بعض العملاء فى الاجتماع عزوا ذلك إلى أن لى رأياً غريباً فى الكتابة المضحكة . وقد وصل إلى منهم عشرات من رسائل التقدير فإنهم استحسنوا هذا » ورن صوته فجأة متوسلاً : « عودى يا باربارا ألا تعودين ؟ لا أستطيع أن أسير فى الحياة بغيرك داخل المكتب أو خارجه »

فصاحت وقد طفت عليها موجة من السعادة : « ستان ! » وفى اللحظة التالية كان قد أحاطها بذراعيه وهو يقبلها

وهمس قريباً من أذنها وهو لا يزال ضاماً إياها إليه : « أيتها الحبيبة ، هل تقبلين الإملاء الآن ؟ »

حبست أنفاسها وهمست : إملاء ، الآن ؟ !

فقال فى صوت خافت ومثير : « نعم ، فقرة جديدة — زواج »

أبو بكر على

آمنوا لدى

شركة مصر لعموم التأمينات

احدى مؤسسات بنك مصر

تستثمر جميع أموالها فى القطر المصرى

وكلاء فى جميع أنحاء القطر وفى السودان